

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

التسامح وقبول الآخر في أبيات: (أنا الحب والمحبة والحب جملة)

"دراسة حجاجية"

Tolerance and acceptance of the other in (poem: I am love, love and love is a sentence)

"dialectical study"

أ.د/ مصطفى فاروق عبدالعليم محمود

Prof. Dr. Mustafa Farouq Abdul-Aaleem Mahmoud

(أستاذ الأدب والنقد- في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ببني سويف -جامعة الأزهر "مصر")

Professor of Literature and Criticism at the the Faculty of Islamic and Arabic Studies

Girls Branch in Bani Suef - Al-Azhar University

E-mail : mtafa34@yahoo.com

تاريخ القبول : 2024/12/27

تاريخ الاستلام: 2021/10/13

الملخص:

تتناول هذه الدراسة التسامح وقبول الآخر في أبيات (أنا الحب والمحب والحب جملة) دراسة حجاجية. هذه الأبيات المختارة للدراسة نص حجاجي بامتياز، عبر دعوة الأمير عبد القادر الجزائري إلى التسامح بين الأديان وقبول الآخر؛ من ثمّ كان اختياري لهذا الموضوع؛ لما فيه من طرافة وجدة.

في مقاربتنا لهذا النص الشعري نحاول غض الطرف عن النظرة الصوفية المعتادة -وحدة الوجود- إلى النظرة الوطنية، إذ حاولنا استنطاق القصيدة بصفتها قصيدة وطنية، وقد توصّلنا عبْر هذه القراءة إلى أنّ الأمير عبد القادر سيطرت عليه الأنا الوطنية -الجزائر- فالجزائر وطنٌ للجميع باختلاف العقائد والإيديولوجيات، كما وجدنا عالميّة الخطاب في إبراز التسامح والتعايش مع الآخر، فالقراءة الحجاجية للنص -هنا- هي نص أدبيّ جديد نظر إلى القصيدة نظرة جديدة صرفتها عن الصوفية إلى الوطنية؛ رغبة في إيجاد عوالم جديدة لم يُتطرق إليها من قبل عند الأمير، وأنّ الحجاج في أبيات "أنا الحب والمحب والحب جملة..." هو التواصل؛ بغية الإقناع، وقد ارتبطت الأبيات المختارة بالتسامح والتعايش مع الآخر.

الكلمات المفتاحية:

عبد القادر الجزائري، الحجاج، وسائل الإقناع، الأفعال اللغوية.

Abstract:

This study deals with tolerance and acceptance of the other in (poem: I am love, lover, and love as a sentence) a dialectical study. This poem chosen for study is a dialectical text par excellence, by calling for tolerance between religions and acceptance of the other, as the prince called for it in his poem; Hence my choice for this topic; Because of his novelty and novelty, and not studied an academic study before. In reading this poetic text, we try to turn a blind eye to the usual Sufi view - the unity of existence - to the national view in it, as we tried to question the poem as a national poem, and through this reading we came to the conclusion that Prince Abdul Qadir was dominated by the national ego - Algeria - Algeria is a homeland for everyone with different beliefs. and ideologies, as we found the universality of discourse in highlighting tolerance and coexistence with the other. The dialectical reading of the text - here - is a new literary text that looked at the poem with a new view that shifted it from Sufism to patriotism; A desire to find new worlds that were not touched before the Prince, and that the dialectic in the poem "I am love and lover and love is a sentence..." is communication; In order to persuade, the selected poem has been associated with tolerance and coexistence with the other.

Keywords: Abdelkader Al-Jazaery, controversy, means of persuasion, linguistic verb

مقدمة:

التسامح قيمة إنسانية عظيمة، دعت إليها الأديان كافة، وجاء الإسلام ليؤكد عليها، والتسامح في معاجم اللغة معناه: التساهل (1) والسماحة والكرم "والتسامح الديني: احترام عقائد الآخرين" (2).

لقد جاءت النصوص القرآنية لتؤكد على هذه القيمة قال تعالى:

(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6) (الكافرون 1-6)

تبرز -السورة الكريمة- قيمة التسامح بين المسلمين وغيرهم، والتأكيد على هذه القيمة عبر التكرار اللفظي، والمعنوي.

كما نجد العطف المبرز لقيمة التسامح في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (سورة البقرة آية 62)

ونهانا القرآن الكريم عن سب آلهة غير المسلمين قال تعالى: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام آية 108) أي ولا تسبوا آلهتهم.

وغيرها من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وحياة النبي -صلى الله عليه وسلم- صورة جلية لقيمة التسامح، ولسنا هنا للوقوف على قيمة التسامح في الإسلام، وإنما أردنا إلقاء الضوء عليها في مستهل الحديث عن قيم التسامح في شعر الأمير عبد القادر.

من هذا المنطلق الإسلامي العالمي الذي يدعو إلى التسامح وجدنا الأمير عبد القادر الجزائري، يؤكد على هذه القيمة في أشعاره سواء قرئت عبر النظرة الصوفية التي تقول بوحدة الوجود، أم من خلال النظرة الوطنية المقترحة التي تنظر إلى (الأنا) على أنها الجزائر الحرة التي تتسع للأديان والأجناس كافة.

لقد استعانت الدراسة لتحقيق هذه الغاية المنشودة بنظرية الججاج لقراءة الأبيات المختارة؛ إذ إن نظرية الججاج من أبرز النظريات التي تهتم بها التداولية؛ وقد أسست هذه

النظرية اللغوية على يد اللغوي (أرفالد) سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة وألف، وغاية هذه النظرية أن اللغة تملك وظيفة حجاجية. والحجاجية ظاهرة ملازمة لنتاج الخطاب، فلا يكاد يخلو خطاب من الججاج؛ لما له من دور في التواصل بين المخاطب، والمخاطب.

في هذا الإطار ستتناول هذه الدراسة التسامح وقبول الآخر في أبيات (أنا الحب والمحبة والحب جملة...) للأمير عبد القادر الجزائري، هذه الأبيات المختارة للدراسة هي نص حجاجي بامتياز، من خلال تناول الأمير لقيم التسامح، من ثم كان اختياري لهذا الموضوع؛ لما فيه من طرافة وجدة، وعدم دراسته دراسة أكاديمية من قبل، إلى جانب الرغبة في تقديم دراسة تتمحور حول الججاج ووسائل الإقناع، وتأتي دراستنا هذه لتكون واحدة من الدراسات اللغوية التطبيقية التي تتناول قيمة التسامح في الشعر العربي، وذلك بإبراز الججاج، وآليات الإقناع كما برزت في القصيدة.

قد اتخذت هذه القراءة من النظرية الحجاجية وسيلة للمقاربة، وعليه؛ فإن الإشكاليات التي تطرحها القراءة متسقة وهذه النظرية، ولعل أبرز تلك الأسئلة التي حاولت الإجابة عنها:

- مَنْ خاطب الشاعر في أبياته؟
- فيم تمثلت آليات الإقناع (تقنيات الججاج ورافده) في الأبيات؟
- كيف نلتبس الآليات الاجتماعية والنفسية في الأبيات؟
- فيم يبرز التأثير اللغوي في الأبيات؟
- ما الدور الذي قام به التكرار -الأبيات- وما هدفه؟
- ما الوظائف التي قام بها الازدواج في الأبيات؟
- كيف قامت الروابط ذات البعد الججاجي -في الأبيات- بدورها في الإقناع؟
- كيف بدت شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال وسائل الإقناع التي استعان بها في القصيدة؟
- وإن من أهم المصادر والمراجع التي أفادت الدراسة ما يلي:
- إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري.

الصلة قوية بين الحجاج والإقناع؛ إذ إنَّ الحجاج يسعى إلى إقناع المتلقين، ويزداد قوة وتألقاً كلما افترضنا جمهوراً من المتلقين أكبر وأخذنا على عاتقنا إقناعهم بسبيل أحسن. (3) فالإقناع هو بغية الحجاج للوصول إلى متبناه، والحجاج هو وسيلة الإقناع؛ بغية الوصول إلى مراده. هذا؛ وقد تنوعت تعريفات الحجاج؛ إذ إنها تتناول عناصر عدة موضوعية، وبنائية، ووظيفية متعددة (4)، وارتبطت به علوم كثيرة، فالحجاج يعني كل منطوق، موجه إلى غيره؛ بغية الإقناع بدعوى معينة يحق له الاعتراض عليها (5) ويعني -أيضاً- "سلسلة من الأدلة التي تفضي إلى حجة واحدة، أو هو الطريقة التي تطرح بها الأدلة" (6) فالحجاج هو طرح البراهين؛ بغية الوصول إلى الإقناع بطرائق مخصوصة.

أما مفهوم الإقناع فهو يدور حول إخضاع الباث المتلقي لفكره بلا تسلط ولا قهر؛ إذ يعني الإقناع: قصد المتكلم إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند السامع. (7) بناء على ما سبق؛ ونظراً لسياق الموقف في القصيدة- محل الدراسة- بات مسوغاً لنا أن نقوم بهذه القراءة الحجاجية.

• نص الأبيات:

أنا الحب والمحب والحب جملة... أنا العاشق المعشوق سرّاً وإعلاناً
أقول أنا وهل هنا غير من أنا... فما زلت في أنا ولوها
وحبراً

ففي أنا كل ما يؤمله الوري... فمن شاء قرأنا ومن شاء
فرقناً

ومن شاء تورا ومن شاء إنجيلاً... ومن شاء مزماراً زبوراً وتبناً
ومن شاء مسجداً ينجيه ربه... ومن شاء بيعة ناقوساً وصلباناً
ومن شاء كعبة يقبّل ركنها... ومن شاء أصناماً ومن شاء
أوثاناً

ومن شاء خلوة يكن بها خاليّاً... ومن شاء حانة يغازل
غزلاناً

ففي أنا ما قد كان أو هو كائن... لقد صبح عندنا دليلاً وبرهاناً
الأبيات السابقة تعد خطاباً حجاجياً بامتياز، يسعى عبره
الأمير عبد القادر بوصفه صوتاً للأمة الجزائرية، إلى إقناع
المخاطبين في مشارق الأرض ومغاربها بقيمة التسامح؛ من ثمّ
حشد في قصيدته مختلف وسائل الإقناع؛ بغية قبول قوله.

سوف نتناول في الصفحات الآتية وسائل الإقناع
الموظفة في الأبيات، على النحو التالي:

أولاً- سياق الموقف في الأبيات.

ثانياً- الوسائل اللغوية للإقناع في الأبيات.

أولاً- سياق الموقف في القصيدة

• التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة
"الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، لمسعود
صحراوي.

• الحجاج في الشعر العربي "بنيتة وأساليبه"، لسامية
الدريدي.

• اللغة والحجاج، لأبي بكر العزاوي.

أما منهجي في هذه الدراسة فكان المنهج الوصفي
والتحليلي، أما وصفي إذ يصف الظواهر الحجاجية في
القصيدة، وأما تحليلي إذ إنه يفكك التراكيب وفق معطيات
النظرية الحجاجية. التي تُعد من أبرز النظريات التي تهتم بها
التداولية، ومعلوم أنّ المنهج التداولي من أقدر المناهج على
مقاربة النصوص الأدبية؛ إذ منح العملية التواصلية الأولوية
في معالجه للنصوص سواء ما يخص المرسل، والمتلقي، أم
السياقات الخارجية، أم مقاصد المرسل، والأثر على المتلقي.
كما منح المنهج التداولي النص الأدبي فضاءً واسعاً استطاع أن
يحرره من قيود المنهج البنيوي.

أما هدف هذه الدراسة فهو إبراز الطاقات الإبداعية
الكامنة في أبيات (أنا الحب والمحب والحب جملة...)، وإبراز
خباياها، وإمكاناتها، وذلك من خلال النظريات اللسانية
الحديثة؛ وذلك بإبراز وسائل الإقناع التي وظّفها الأمير
عبد القادر الجزائري في أبياته؛ بغية التأثير في السامعين،
واستمالتهم لقيم التسامح.

وانبثق عن هذا الهدف العام مجموعة من الأهداف
الجزئية، والتي تتمثل في:

- الكشف عن سياق الموقف في أبيات (أنا الحب والمحب
والحب جملة...).

- إبراز أهم الوسائل اللغوية للإقناع في أبيات (أنا الحب
والمحب والحب جملة...).

سوف نلقي الضوء فيما يلي من صفحات على الصلة
القوية بين الحجاج والإقناع، ثم نذكر نص الأبيات، ثم
الوقوف على وسائل الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده) في
القصيدة، فنتحدث عن سياق الموقف في القصيدة،
والوسائل اللغوية (أفعال الكلام، والتكرار، والازدواج،
والروابط الحجاجية) ثم الخاتمة، وفيها ما توصّلت إليه
الدراسة، وتوصياتها.

التمهيد:

- المرسل إليه

البشريّة كافة هي الطرف الثاني الذي أثار الأمير عبد القادر الجزائريّ، ودفعه إلى قول هذه الأبيات؛ إذ دعا إلى التسامح وقبول الآخر، ودمج الأمم، وتجاوز الإيديولوجيات. إنّ خطاب الأمير الذي دعا فيه إلى قيمة التسامح كان خطاباً عالمياً، لا يقل دور المتلقين في هذا الخطاب عن دور المرسل؛ إذ إنّ العملية التواصلية لابد فيها من باث ومستقبل، فالموقف موقف حجّاج وإقناع؛ لإبراز قيم التسامح؛ فالخطاب في الأبيات السابقة خطاباً عالمياً يتجاوز فيه الأمير حواجز المعتقدات كافة.

من ثمّ: فإنّ السياق المؤطر للأبيات محل الدراسة (المرسل، والمرسل إليه، والعلاقة بينهما، والأفعال المصاحبة، والزمان،...) جاء مشحوناً من ناحية الحجّاج؛ إذ إنّ متعلق بقيمة التسامح، فبرز الإقناع في أقوى صوره.

ثانيًا- الوسائل اللغوية:

تُعد الوسائل اللغوية من أهم الأدوات في عملية الإقناع، فهذه الأدوات "بمثابة قوالب تنظّم العلاقات بين الحجّج والنتائج، أو تُعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب الخطاب"⁽¹⁰⁾ وقد توسّل بها الأمير عبد القادر أثناء طرح نصه الشعري؛ بغية إكسابه طاقة حجّاجية، ونهّتم في هذه الوسيلة بالاختيارات اللفظية والتركيبية التي يعمد إليها الشاعر لغاية حجّاجية. وتُعد هذه الأدوات بمنزلة القوالب التنظيمية للعلاقات بين الحجّج والنتائج، وتساعد الباث على تقديم حججه حسب الموقف.

ولا مناص في دراستنا الحجّاجية من الاهتمام بالجانب التأثيري للغة؛ نظراً لدوره الفعّال في العملية التواصلية؛ بغية الإقناع، وهذا التأثير اللغوي يبرز عبّر الصيغ اللغوية المتعددة، ومن أهمها: أفعال الكلام التي تؤدي وظيفة الإقناع عبّر قوتها الإنجازية.

1- أفعال الكلام

أفعال الكلام، أو ما يُطلق عليها -أحياناً- الأفعال اللغوية، هي مجال مهم من مجالات البحث اللساني التداولي، ويرجع الفضل في تنظيره إلى الإنجليزي (أوستين)، وتطوره على يد تلميذه (سيرل)، وتعني بأفعال الكلام "كل منطوق ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري"⁽¹¹⁾

سوف نعتمد في تحليلنا للأفعال الكلامية في القصيدة على اقتراح (سيرل)؛ إذ إنّ أكثر دقة ووضوحاً من أنموذج

إلقاء الضوء -ولو بإيجاز- على سياق الموقف في الأبيات المختارة ضرورة ملحة يتطلبها التحليل الحجّاجي؛ إذ يؤطر هذا الخطاب، ويبرز البعد الإقناعي فيه، ونعني بسياق الموقف: المحيط غير اللغوي الذي يُبرز الخطاب ويوضحه، فيشمل الملابس المتصلة بالقصيدة.

ارتبطت أشعار الأمير عبد القادر بعوامل فكرية وسياسية شديدة في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد رسمت صورة للاستعمار الفرنسي للجزائر. والأبيات محل الدراسة جاءت في كتاب (المواقف)، ويحاكي فيها قصيدة جرير المعنونة (بان الخليط) في الوزن والقافية. هذا؛ وقد استهل جرير قصيدته بالتغزل بالمحبة والحزن على فراقها، إلى أن يتمنى عودتها في آخر غزله، فالمحاكاة بدت بارزة بين الجزائر التي ابتعد عنها الأمير، والمحبة التي ابتعد عنها الشاعر الأمويّ، والحنين إلى الوطن الذي تماهى مع الأمير، كما حن جرير إلى محبوبته.

نظم الأمير هذه القصيدة في عزله، ومن ثمّ تضخمت آلام الاستعمار، وولدت الغربة الحنين إلى الوطن والشعور بعظمته.

يعرض الأمير في أبياته السابقة صورة حياة لمعاني التسامح، يتجاوز فيها المعتقدات الدينية كافة، فيزيل العوائق التي تفصل بين الأمم، ليحل محلها التسامح والحرية العقدية والإيدلوجية، ثم ختم القصيدة بنظرة وحدة البشرية كافة.

ففي أناس كل ما يؤمله الوري ... فمن شاء قرأنا ومن شاء فرقنا

من هنا ننطلق إلى وضعية كل من طرفي الخطاب، ونوع العلاقة بينهما؛ إذ يمثّلان حجر الأساس في النص.

- المرسل

في الأبيات محل الدراسة المرسل هو الأمير عبد القادر الجزائريّ: "مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، وقد اشتهر بمناهضته للاحتلال الفرنسي للجزائر. ولد في 23 رجب 1222 هـ / مايو 1807 م، وذلك بقرية "القيطنة" بوادي الحمام من منطقة معسكر "المغرب الأوسط" الجزائر، ثم انتقل والده إلى مدينة وهران."⁽⁸⁾ وقد أبرز الجنرال الفرنسي بيجو بطولته إذ يقول عنه: "إنّ عبد القادر المحارب والخطيب والدبلوماسي ورجل الدولة والمشرع تكمن أسرار قوته في عظمتة العقلية"⁽⁹⁾ فالمرسل مع نسبه الشريف، وعقديته الصوفية، وشخصيته القيادية، يمتلك عقلية عظيمة محبة لوطنها، وللبنية كافة؛ وبناء عليه تبرز لنا مكانة المرسل.

إلى حالة مستجدة. وبهذا يمكن أن يكون اللفظ موقعاً لفعل معين، وتعني الفعل اللغوي الذي يغير الواقع بما يتوافق مع المحتوى (الحدث) للإعلان. ومن أمثلته أفاظ البيع والشراء، والزواج والطلاق، والقذف والتنازل، والإقرار...

من خلال مراجعة نص الأبيات المختارة للدراسة يمكننا الوقوف على ما يلي فيما يخص أفعال الكلام: تتعدد الإخباريات في الأبيات المختارة: نظراً لأن العملية التواصلية تقوم على الإخبار، والمشاركة في الموضوع المعروض، إذ إن الإخباريات هي التي تؤدي إلى إقامة الحجة، ومن ثمّ تتحقق الإفادة.

يقول الأمير:

أنا الحب والمحب والحب جملة... أنا العاشق المعشوق سرّاً وإعلاناً جاءت الأفعال التلغظية فيها إخباراً ووصفاً، والأفعال الإنجازية في البيت تأكيدية بدرجات متفاوتة ذلك أنّ الشاعر يؤكد على وحدة البشرية وأنا الجزائر وطن للجميع-حسب القراءة الوطنية للأبيات- فالحب والمحبة، والعشق والمعشوق يتحدثون جميعاً في الأحوال كافة، سواء في السر أم الجهر. وبرز التأكيد بدرجة أكبر مع التكرار اللفظي والمعنوي (الحب والمحب والحب)، (العاشق المعشوق)، (جملة)، (سرّاً وإعلاناً)، أما الفعل التأثري فهو إقناع المتلقي.

الإخباريات في البيت السابق تتمثل في الجمل القصيرة المتعاقبة يسعى عبرها الشاعر إلى إثبات حجته بطريقة تفيد تقرير الحقائق؛ فالإخباريات نحو: (أنا الحب، والحب جملة، أنا العاشق المعشوق) التي تقوم على الحب والمحبة والعشق.

وكذلك نجد الإخبار في قوله:

ففي أناكل ما يؤمله الوري... فمن شاء قرأنا ومن شاء فرقنا

كلها إخباريات تقريرية تبرز وحدة البشرية، وأنّ الجزائر وطن قديم عريق، وهو ما ثبت بالدليل والبرهان، وقد اعتمد الشاعر في بيته السابق على التأكيد اللفظي (ما قد كان أو هو كائن) والمعنوي (دليلاً وبرهاناً)، ومن ثم تبرز قيم التسامح بين البشر، وما ذكره الشاعر بهذا الخصوص، لا يمكن تحقيقه إلا بهذه الأخبار، فالتعبير بها يجعل ما يذكره من المسلمات التي لا تقبل الشك، ولا المناقشة...

وقد خلت الأبيات المختارة من التوجيهات، ولا عجب في ذلك فهي دعوة للتسامح وقبول الآخر هذه الدعوة قائمة على

أستاذه (أوستين)، وسنحاول من خلاله إبراز الدور الذي تقوم به الأفعال الكلامية في إحداث الإقناع والتأثير.

هذا؛ وقد حدّد (سيرل) خمسة أصناف للأفعال الكلامية، هي: "الأخبار، والتوجيهات، والالتزامات، والتعابيريات، والإعلانات" (12)

الأخبار (الإخباريات) (Assersifs): تعني تبليغ الخبر؛ وهي تمثيل للواقع، وتسمى أيضاً بالتأكيدات، أو الأفعال الحكمية، أي إنه ينقل الواقع كما هو، ويندرج في هذا القسم الأفعال الدالة على التوضيح كلها، وأغلب الأفعال الدالة على الأحكام. مثل: نُعَبِّر عن رأي الأمة كافة.

التوجيهات -الأوامر (Directifs): تحمل المخاطب على فعل معين، وتعني الفعل اللغوي الذي يدفع السامع إلى القيام بفعل معين؛ إذ تقوم على محاولة توجيه المخاطب إلى سلوك ما في المستقبل، وشرطها الإرادة والرغبة الصادقة، وتمثلها صيغ الاستفهام، والأمر، والنهي، والرجاء، والنصح، والتشجيع، والدعوة، والإذن، والاستفسار، والسؤال، والتحدي، وتدخل كثير من أفعال القرار في هذا القسم كما تندرج فيه ما أسماها (أوستين) السلوكيات التي تعبّر عن ردّ فعل سلوك الآخرين. مثل: لا أسمع لك.

الالتزامات (أفعال التعهد) (Commissifs): وهي أفعال التكليف نفسها عند (أوستين)؛ إذ يلتزم المتكلم بفعل شيء معين، وتعني الفعل اللغوي الذي يلزم المتكلم بفعل أو الالتزام بشيء في المستقبل عن قصد وإخلاص، والسمة المميزة لهذا النوع عن سابقه، أنه لا يبتغي التأثير في السامع، ومن أمثلته: أضمن، أقسم، أتعهد، أتعاقد على، سألتزم بما هو مكتوب.

د-التعابيريات (التصريحات) (Expressifs): وهي الأفعال التمرسية عند (أوستين)، وتعبّر عن حالة، مع شرط صدقها، وتعني الفعل اللغوي الذي تعبّر عن سلوكه ومشاعره تجاه الغرض، فهي التعبير عن مواقف نفسية تعبيراً مخلصاً، وتندرج تحتها أفعال الشكر، والتهنئة، والتعزية، والاعتذار، والتمني، والندم، والمواساة، والحسرة، والندم، والشوق، والكراهة، وإظهار القوة والضعف، والحزن، والترحيب، مثل: أشكرك سيدي الرئيس....

هـ-الإعلانات-الإنجاريات -الإدلائيات (Declarations): وتكون حين التلفظ ذاته، وقوام هذه الأفعال التعيين، فيحدث تطابق بين مقتضاها مع العالم الخارجي، ما يعني قيام هذا النوع على وضع غير لساني من شأنه تغيير الحالة القائمة

الجماعات من باب أولى ، والسبب في ذلك أنّ الشيء المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار، وانتهى بتصديق المتكرر، إذ إنّ الشيء إذا تكرر رسخ في الأذهان رسوخاً تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة⁽¹⁴⁾. كما يؤدي التكرار دوراً حجاجياً مهماً؛ إذ يساعد على التبليغ، والإفهام، ويُعين المتكلم على ترسيخ الرأي، والصورة في الذهن. لقد استعان الشاعر بالتكرار سواء أكان لفظياً، أم معنوياً، ومن التكرار اللفظي، تكراره للفعل (الحب) في البيت الأول من القصيدة، ويهدف الشاعر من هذا التكرار، تأكيد المعنى، وترسيخه في ذهن المتلقي، وبيان وحدة البشرية، وكذا تكرار كلمة (العشق)، ونجد التكرار الطولي والعرضي (ومن شاء) ومن شرطية مبتدأ، وشاء فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره هو، وهو تكرار ناسب غرض الأبيات التي تدعو إلى قيمة التسامح، فالإرادة هنا فيها دعوة إلى قبول الآخر، وتجاوز أي حواجز بين البشر.

لقد اعتمد الشاعر في إقناع السامعين، على العرض اللغوي لموضوعه الحجاجي بتكراره وصياغته صياغة موازنة، والبأسه موسيقياً ذات إيقاع متكرر، فالتكرار ساعد على إقناع المتلقين كافة، باختلاف مستوياتهم الفكرية، والعقلية، بقيمة التسامح، ووحدة الوجود.

3- الازدواج

الازدواج من أبرز الوسائل اللغوية التي تقوّي الحجاج؛ إذ يعضد خطاب المرسل في سبيل إقناعه المتلقي، بما يملكه من تأثير إيقاعي متناسق، فيؤثر على الجانب، السمعي، والنفسي، ونجده في الأبيات، ومنه:

ومن شاء تورا ومن شاء إنجيلاً... ومن شاء مزماراً زبوراً وتبياًنا
الشاعر في البيت السابق، يستعين بالازدواج وهو ازدواج الجمل؛ حيث أتى الشاعر في بيته من أوله إلى آخره بجمل مزدوجة؛ (ومن شاء تورا ومن شاء إنجيلاً)، وبقابله في المصراع الثاني (ومن شاء مزماراً زبوراً وتبياًنا) رغبة في ترسيخ قيمة التسامح وقبول الآخر، فليس لأحد وصاية على أحد، بل فالجزائر تتسع للجميع، وهنا يبدو جلياً تقاطع حالات الازدواج، وتكرار المضمون، فالجمل تجمع بين الازدواج، والتكرار لمضمون الجمل، ولا يخفى ما في هذا الانسجام الموسيقي من دور التذكر، وإقناع المتلقي.

المحبة، والعشق ونبد العنصرية، وبخاصة الدينية، وتجاوز الحواجز العقدية، والإيدلوجية.

نجد في الأبيات (التصريحات) وتعني الفعل اللغوي الذي يعبر من خلاله الشاعر عن سلوكه ومشاعره تجاه الغرض؛ إذ يعبر عن مواقف نفسية تعبيراً مخلصاً، والتصريحات: تقوم بإحداث تغيير في الواقع عن طريق الإعلان، واتجاه المطابقة فيها مزدوج جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم، "وتنفرد التصريحات بين الأفعال الكلامية بكونها تحدث التغييرات في العالم فقط بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي"⁽¹³⁾ يقول الشاعر:

ففي أناكل ما يؤمله الوري ... فمن شاء قرأنا ومن شاء
فرقنا

ومن شاء تورا ومن شاء إنجيلاً... ومن شاء
مزماراً زبوراً وتبياًنا

ومن شاء مسجداً يناجيه ربه... ومن شاء
بيعة ناقوساً وصلباناً

ومن شاء كعبة يقبّل ركنها ... ومن شاء
أصناماً ومن شاء أوثاناً

ومن شاء خلوة يكن بها خالياً... ومن شاء حانة يغازل
غزلاناً

سيطرت على الأبيات المختارة للدراسة التصريحات، فالأفعال التلطفية في هذا الأبيات السابقة جاءت بصيغة الإخبار والشرط (فمن شاء قرأنا، ومن شاء فرقنا، ومن شاء تورا، ومن شاء إنجيلاً... إلخ) أما الفعل الإنجازي فهو الدعوة إلى التسامح وقبول الآخر، وتجاوز الحدود الدينية، والإيدلوجية والفعل التأثيري هنا إقناع المتلقي، وجعله يغير من رأيه فالصرعات الدينية والإيدلوجية لا مكان لها في الجزائر بل بين البشر عموماً، يرى الشاعر أنّ الحرية هي الحقيقة الوحيدة التي يجب أن تسود.

تكمّن براعة هذا التعبير في مطابقته للواقع الخارجي، فالقول هو الفعل، والغرض المنشود هو الدعوة إلى التسامح وقبول الآخر كما هو؛ من ثمّ برزت قدرة الشاعر، وبراعته في إبداع فعل حجاجي من خلال وعيه الكامل بما أراد في قصيدته.

2- التكرار

للتكرار وظيفة إيحائية فهو للتأكيد المعنوي، وللكشف عما بداخل النفس، أو للبرهنة على صفات مناسبة للقول، ولقد أدرك علماء النفس، والاجتماع ما للتكرار من أثر فذكروا أن لـ "التكرار تأثير في عقول المستنيرين، وتأثيره أكبر في عقول

الخاتمة

بعد أن تتبّع الباحث وسائل الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده) في أبيات: أنا الحب والمحب والحب جملة..." توصّل إلى مجموعة من النتائج أجمالها في النقاط التالية:

- برزت قيمة التسامح في شعر الأُمير؛ إذ دعا إلى الحب، والحرية، وقبول الآخر، ودمج الأمم، وتجاوز الإيديولوجيات، وهذا ما لمسناه في حجج الشاعر، وأفكاره، وأساليبه.
- وجدنا وحدة الوجود وعالمية الدعوة إلى التسامح، في شعر الأُمير عبد القادر الجزائري.
- تنوّعت تقنيات الحجاج في "أبيات: أنا الحب والمحب والحب جملة..." فوجدنا: آليات سياسية وفكرية، وآليات لغوية.
- تمثّلت الآليات السياسية والفكرية في شخصية الأُمير عبد القادر الجزائري، ودافعه لنظم هذه الأبيات.
- التأثير اللغوي يبرز عبّر الصيغ اللغوية المتعددة، ومن أهمها: أفعال الكلام التي تؤدي وظيفة الإقناع عبّر قوتها الإنجازيّة، إلى جانب التكرار، والازدواج، والروابط الحجاجيّة...
- تتوالى التأكيدات المعنوية - في الأبيات المختارة للدراسة - عن طريق التكرار بصورة منتظمة؛ هدفها إقناع المتلقين؛ بما للتكرار من آلية في نتاج المعنى، فالتكرار يساعد على إقناع المتلقين كافة، باختلاف مستوياتهم الفكرية، والعقلية.
- الازدواج في القصيدة أدى وظائف حجاجيّة؛ بغية الإقناع تمثّلت في الوظيفية التأثيرية وهي التذكر، والتأكيد الضمني بما فيه من تكرار معنوي، إلى جانب الطاقة الإيقاعيّة المتولّدة من الانسجام اللفظي، والجمالي. وهذا كله يؤدي إلى سهولة الحفظ، وتثبيت الفكرة؛ وصولاً إلى استمالة المتلقين، وإقناعهم.
- الروابط ذات البُعد الحجاجي - في الأبيات المختارة منها: (الواو)، أدّت دوراً حجاجيّاً مهمّاً، وربطت بين الحجج، لموضوع واحد، كما أسهمت هذه الروابط في إبراز المعنى، وزيادة وضوحه، إلى جانب دورها في التنظيم، والإثبات حسب معناها، والربط بين الطرح، وحجته.
- برزت شخصية الأُمير عبد القادر الجزائري من خلال وسائل الإقناع التي استعان بها؛ أنه شخصية وطنية، متسامحة، داعية إلى الحرية، مؤثرة، قويّة، عقلائيّة، محبة للإنسانية حريصة على الرقي بها.

الازدواج في البيت السابق أدى وظائف حجاجيّة؛ بغية الإقناع تمثّلت في الوظيفية التأثيرية وهي التذكر، والتأكيد الضمني بما فيه من تكرار معنوي، إلى جانب الطاقة الإيقاعيّة المتولّدة من الانسجام اللفظي، والجمالي، والتلاحم بين أجزاء الجملة، هذا كله يؤدي إلى سهولة الحفظ، وتثبيت الفكرة؛ وصولاً إلى استمالة المتلقين، وإقناعهم.

4- الروابط اللغوية:

نقصد بالروابط اللغوية الروابط الحجاجيّة، التي لها دور حجاجي مهم؛ بما تمنحه من انسجام في الخطاب، والوصول إلى الإقناع من خلال استمالة السامع، وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المرسل. ومن أبرز الروابط ذات البُعد الحجاجي، أحرف العطف (الواو، الفاء، ثم)، حيث إنّها تؤدي دوراً حجاجيّاً كبيراً، كما تسهم هذه الروابط في إبراز المعنى، وزيادة وضوحه، إلى جانب دورها في التنظيم، والإثبات حسب معناها. فهذه "الروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح (أو الأكثر)، وتساعد لكل قول دوراً محدداً داخل الإستراتيجية الحجاجيّة العامة..."⁽¹⁵⁾، وسوف نكتفي بإلقاء الضوء على رابط واحد؛ نظراً لطبيعة الدراسة القائمة على الإيجاز.

- الواو

يُعد رابط (الواو) أكثر الروابط حضوراً في الأبيات، فجدّه قد تكرر في الأبيات المختارة للدراسة ثماني عشرة مرة، ولقد عبّر الشاعر من خلاله عن فكرته، ومنه: (والمحب، والحب، وإعلاناً، وهل، وحيراناً، ومن شاء فرقاناً، ومن شاء تورا، ومن شاء إنجيلاً، ومن شاء مزماراً زبوراً، وتبياناً، ومن شاء مسجداً، ومن شاء بيعة، ومن شاء كعبة، ومن شاء، ومن شاء أوثاناً، ومن شاء خلوة، ومن شاء حانة، وبرهاناً) الرابط الحجاجي (الواو) قام بالوصل بين الحجج المتعددة، وعمل على ترتيبها، وتقويتها، فالحجج مترابطة تدعم كل حجة الأخرى، وهذا هو الدور الذي أدته (الواو) فيسوق الشاعر الجملة، ثم يأتي بعدها بجملة أخرى تليها، توضح المعنى وتؤكدّه، فيبرز وحدة البشرية ويدعو إلى التسامح، وقبول الآخر؛ فكرر وعطف وذلك لحث البشرية على قيم التسامح وقبول الآخر، كل هذه الحجج تدعم بعضها بعضاً، ف(الواو) أكدت المعنى، وعملت على تنسيق الجمل وترتيبها، بما يضمن تدعيم النتيجة النهائية، والفكرة المقصودة.

- علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سياقي)، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2012م.

- غوستاف لوبون، ترجمة: أحمد فتحي زغلول: روح الاجتماع، المطبعة الرحمانية، مصر (د.ت).
- مجدي وهبة: المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، مصر، 1979م.

- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 2005م.

الهوامش:

- (1) أبو بكر الرازي: مختار الصحاح مادة (س هل): 156/1، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420هـ / 1999م.
- (1) أحمد مختار عبد الحميد عمر (دكتور): معجم اللغة العربية المعاصرة: 2/ 1105، ط1، عالم الكتب، مصر، 1429هـ - 2008م.
- راجع: سامية الدريدي (دكتور): الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه": ص35، ط2، عالم الكتب الحديث، أريد-الأردن، 2011م.
- (4) راجع: دومينيك مانغونو: ترجمة: محمد يحياتن: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ص100-101، ط1، دار الاختلاف، الجزائر 2008م.
- (5) راجع: طه عبد الرحمن (دكتور): اللسان والميزان: ص226، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 1998م.
- (6) مجدي وهبة: المعجم الفلسفي: ص393، دار الثقافة الجديدة، مصر، 1979م
- (7) راجع: عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: ص22، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 2006م.
- (8) غلوي بن عبد القادر السقاف: الموسوعة التاريخية: 9/ 203، موقع الدرر السنية، 1433 هـ.
- (9) شارل هنري تشرشل، ترجمة: أبو القاسم سعد الله: حياة الأمير عبد القادر: ص14، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون تاريخ.
- (10) عبد الهادي ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية": ص477، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004م.
- (11) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي: ص40، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان 2005م.
- (12) راجع: علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة (دراسة دلالية ومعجم سياقي): ص60: 63، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2012م.
- (13) راجع: جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي: العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي): ص219-220، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2006م

ختامًا: أوصي الباحثين بالاهتمام بدراسات الحجاج في نتاج الأمير عبد القادر الجزائري، وبخاصة قدرة الحجاج على إبراز إبداعه؛ إذ إنه يؤدي دورًا في فك طلاسم العمل الأدبي، من خلال وسائل الإقناع (تقنيات الحجاج ورافده).

لعلي بهذا العرض أكون قد بلغت الغاية، والهدف، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مراجع البحث:

- أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، ج1، ط5، المكتبة العصرية لبنان، 1420هـ / 1999م.
- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ط1، الدار البيضاء، المغرب (د.ت).
- أحمد مختار عبد الحميد عمر (دكتور): معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ط1، عالم الكتب، مصر، 1429هـ - 2008م.
- جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي: العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2006م
- دومينيك مانغونو: ترجمة: محمد يحياتن: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ط1، دار الاختلاف، الجزائر 2008م.
- سامية الدريدي (دكتور): الحجاج في الشعر العربي "بنيته وأساليبه"، ط2، عالم الكتب الحديث، أريد-الأردن، 2011م.
- شارل هنري تشرشل، ترجمة: أبو القاسم سعد الله: حياة الأمير عبد القادر، الدار التونسية للنشر، تونس، بدون تاريخ.
- طه عبد الرحمن (دكتور): اللسان والميزان، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب 1998م.
- عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير: مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب 2006م.
- عبد الهادي ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2004م.
- غلوي بن عبد القادر السقاف: الموسوعة التاريخية، ج9، مكتبة الدرر السنية، 1433 هـ.

-
- (14) غوستاف لوبون، ترجمة: أحمد فتحي زغلول: روح الاجتماع: ص 139،
المطبعة الرحمانية، مصر (د.ت)
- (15) أبو بكر العزاوي: اللغة والججاج: ص 27، ط 1، الدار البيضاء،
المغرب (د.ت)
-